

التحرير والتنوير

والفاء في (فكذبوه) فصيحة أي فتبين أنهم بقولهم : سواء علينا ذلك أو عطف الخ قد كذبوه فأهلكناهم .

وقوله (إن في ذلك لآية) إلى آخره هو مثل نظيره في قصة نوح .

(كذبت ثمود المرسلين [141] إذ قال لهم أخوهم صلح ألا تتقون [142] إني لكم رسول أمين [143] فاتقوا الله وأطيعون [144] وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العلمين [145]) .

موقع هذا الجملة استئناف تعداد وتكرير كما تقدم في قوله (كذبت عاد المرسلين) . والكلام على هذه الآيات مثل الكلام على نظيرها في قصة نوح و ثمود قد كذبوا المرسلين لأنهم كذبوا صالحا وكذبوا هودا لأن صالحا وعظهم بعاد في قوله (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) في سورة الأعراف وبتكذيبهم هود كذبوا بنوح أيضا لأن هودا ذكر قومه بمصير قوم نوح في آية (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) .

الأعراف سورة في (صالحا أخاهم ثمود وإلى) تعالى قوله عنده وصالح ثمود ذكر وتقديم A E وكان صالح معروفا بالأمانة لأنه لا يرسل رسول إلا وهو معروف بالفضائل و (إني أعلم حيث يجعل رسالته) وقد دل على هذا المعنى قولهم (إنما أنت من المسحرين) المقتضي تغيير حاله عما كان عليه وهو ما حكاه الله عن قومه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) في سورة هود . وحذف ياء المتكلم من (أطيعون) هو مثل نظائره المتقدمة آنفا .

(أتركون في ما هاهنا آمنين [146] في جنت وعيون [147] وزروع ونخل طلعها هضيم [148] وتنحتون من الجبال بيوتا فريين [149] فاتقوا الله وأطيعون [150] ولا تطيعوا أمر المسرفين [151] الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون [152]) .

كانوا قد أعرضوا عن عبادة الله تعالى وأنكروا البعث و غرهم أئمة كفرهم في ذلك فجاءهم صالح عليه السلام رسولا يذكرهم بنعمة الله عليهم بما مكن لهم من خيرات وما سخر لهم من أعمال عظيمة ونزل حالهم منزلة من يظن الخلود ودوام النعمة فخاطبهم بالاستفهام الإنكاري التوبيخي وهو في المعنى إنكار على ظنهم ذلك . وسلط الإنكار على فعل الترك لأن تركهم على تلك النعم لا يكون . فكان إنكار حصوله مستلزما لإنكار اعتقاده .

وهذا الكلام تعليل للإنكار الذي في قوله (ألا تتقون) لأن الإنكار عليهم دوام حالهم يقتضي أنهم مفارقون هذه الحياة وصائرون إلى الله .

وفيه حث على العمل لاستبقاء تلك النعم بأن يشكروا الله عليها كما قال صاحب الحكم " من لم

يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها " .

و (هاهنا) إشارة إلى بلادهم أي في جميع ما تشاهدونه وهذا إيجاز بديع . و (آمنين) حال مبنية لبعض ما أجمله قوله (فيما هاهنا) . وذلك تنبيه على نعمة عظيمة لا يدل عليها اسم الإشارة لأنها لا يشار إليها وهي نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم ولا يتذوق طعم النعم الأخرى إلا بها .

وقوله (في جنات) ينبغي أن يعلق ب (آمنين) ليكون مجموع ذلك تفصيلا لإجمال اسم الإشارة أي اجتمع لهم الأمن ورفاهية العيش . والجنات : الحوائط التي تشجر بالنخيل والأعناب . والطلع : وعاء يطلع من النخل فيه ثمر النخلة في أول أطواره يخرج كنصل السيف في باطنه شماريخ القنو ويسمى هذا الطلع الكم " بكسر الكاف " وبعد خروجه بأيام ينفلق ذلك الوعاء عن الشماريخ وهي الأغصان التي فيها الثمر كحب صغير ثم يغلظ ويصير بسرا ثم تمرأ . والهضم بمعنى المهضوم وأصل الهضم شذخ الشيء حتى يلين واستعبر هنا للدقيق الضامر كما يقال : امرأة هضم الكشح . وتلك علامة على أنه يخرج تمرأ جيدا . والنخل الذي يثمر تمرأ جيدا يقال له : النخل الإناث وضده فحاحيل وهي جمع فحال " بضم الفاء وتشديد الحاء المهملة " أي ذكر وطلعه غليظ وتمره كذلك .

وخص النخل بالذكر مع أنه مما تشملته الجنات لقصد بيان جودته بأن طلعه هضم . (وتنحتون) عطف على (آمنين) أي وناحتين عبر عنه بصيغة المضارع لاستحضار الحالة في نحتهم بيوتا من الجبال . وتقدم ذلك في سورة الأعراف